المشكلات التي اعترت مشروع الاستخلاف

أ.د صباح عباس عنوز
والباحث
حسن كاظم هاشم الزاملي

المقدمة

لقد تحدث القرآن الكريم وبشكل تفصيلي عن الإستخلاف ، أو خلافة الإنسان على الأرض ، وطرح تعالى مفهومين ، الأول يتحدث عن العمق التاريخي لذلك المشروع والآخر يتحدث عن المستقبل ، قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...)[1] وقال تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[2] وهذان النصان يبينان هذين المفهومين ، أي مفهوم آدم "عليه السلام" الخليفة ومفهوم الأمة الصالحة المستخلفة في الأرض ، واللذان يمتزجان مع بعضهما البعض ليكونا الصورة العملية لمشروع الإنسان وخلافته ، فالخلافة في الطرح القرآني تعبر عن مفهوم يدخل في صميم مشروع الإنسان ، فهو الكيان المناط به مسؤولية تعمير الأرض وأحيائها على وفق قوانين وآليات إلهية ، فمن جانب الاستخلاف الأول أي خلافة آدم "عليه السلام" تتضح لنا بعض الدلالات والمعاني التي تعكس بشكل أو بآخر سعة ذلك المفهوم ليستوعب الماضي والحاضر ويمتد الى المستقبل ، وإذا كان الخليفة (هو من يخلف غيره ، ويقوم مقامه ، وبهذا المعنى ورد "يا داوّد إنا جعلناك خليفة في الأرض")[3]، فستكون مهمة هذا المخلوق مهمة عظيمة وخطرة للغاية وإن إسناد الخلافة له (يدلنا على عظيم خطر الإنسان وخطر المهمة التي انتدب إليها)[4] .

ولقد تعرض هذا المشروع الكبير إلى التهديد المباشر قبل أن يبدأ آدم "عليه السلام" بمهمته والتشكيك بقدراته من أكثر من طرف ، فالملآئكة كانوا هم الأسبق في طرح موضوع عدم قناعتهم بقدرات ذلك المخلوق فتحدثوا بأن (هذا الخليفة سوف يُفسد في الأرض ويسفك الدماء وإقرار الله تعالى ذلك منهم وعدم تكذيبه لادعائهم)[5] ، وذلك لأن الملآئكة نظرت للمشروع من زاوية لا يسمح لها بان تنظر لكل ما يحيطه وبالتالي وقعت في فخ التقييم القاصر لأنها لم تكن تملك الرؤية الشاملة والتي عبر عنها تعالى بقوله : (إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ)[6] وأوضح لهم (لما كنت عالما بكل المعلومات كنت قد علمت في خلقهم وتكوينهم حكمة لا تعلمونها انتم)[7] وهكذا تسير القصة لتظهر لنا ملامح عملية الإستخلاف فقد ذهب بعض المفسرين إلى إن المقصود بذلك العلم هو (ما أضمره إبليس من المعصية ، أو من ذرية آدم "عليه السلام" من الأنبياء والمصلحين ، أو ما اختص من علمه بتدبير

المصالح .)[8] ، أو يرى البعض أن ذلك العلم يتعلق بمواضيع الذرية الصالحة لذلك البشر وتحديدا (انه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون)[9] أو (أن في علمي إنكم سكان السماء ، ويكون آدم وذريته سكان الأرض ، ويكون منهم من يسبح بحمدي ويعبدني)[10] ولم يبتعد المفسرون كثيرا عن هذا المعنى فقد فسر العياشي (ت 320هـ) هذا المقصد بأن الله قال : (أريد أن اخلق خلقا بيدي واجعل من ذريته أنبياء ومرسلين وعباد صالحين أئمة مهتدين واجعلهم خلفاء على خلقي ينهونهم عن معصيتي وينذروهم من عذابي ويهدونهم إلى طاعتي ويسلكون بهم طريق سبيلي واجعلهم لي حجة عليهم وعذرا ونذرا)[11] إن ذلك الحوار الذي يطرحه النص القرآني يصور لنا الغموض الذي كان يلف المشروع في نظر الملآئكة ، و لم يبين النص القرآني الأسس التي استندت إليها الملآئكة في طرحها حول الإفساد وسفك الدماء وبالمقابل لم تنفي النصوص ما جاء في كلام الملآئكة حول ذلك الموضوع فهل يعني ذلك إن الإفساد حاصل لا محال[12] ؟ .

لا شك إن حركة إبليس لتقويض مشروع الاستخلاف كانت واسعة ومركزة (قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) [13] أي بمعنى أني سألتزم (صراطك المستقيم في ما يمثله من وحيك وشرائعك، فأجلس فيه وأرصد كل السائرين عليه لأحوله عن السير فيه)[14] وذلك عبر آليات مختلفة (ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ)[15] فهي تعتمد على خلق مسلسل غير منتهٍ من المشكلات في صميم المساحات التي يتحرك عليها خط النبوة وكما بينا أن تلك الحركة اعتمدت بشكل أساسي على ضعف الإنسان وتأرجحه بين خط النبوة وخط الشيطان ، ذلك الإنسان الذي كان وما يزال في المنظار الإلهي هو القيمة العليا وهو أفضل المخلوقات (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدم وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً)[16] فهو يمثل خصوصية لما تجسدت فيه معايير ومميزات مختلفة (يستطيع من خلالها اكتساب خصائص أخرى ، تضيف إلى عقله عقلا جديد ، وإلى عمله عملا منفتحا) [17] وعلى هذا تبلورت الفكرة القائلة بأن السجود كان إلى أبي النوع الإنساني آدم "عليه السلام" ، ذلك لأنه يحمل من المميزات التي أودعها الله فيه لكي تمكنه أن يقيم العدل على الأرض[18] ولكن هذا الأمر ليس باليسير وان الإنسان الذي هو مادة التعمير أصبح هو المستهدف الأول في مخطط إبليس ما بعد مرحلة الهبوط إلى الأرض ، لاسيما وقد استجاب الله لطلب إبليس بأن (لا يولد له ولد"يعني آدم " الا ولد لك ولدان قال : ربي زدني قال: تجري منه مجرى الدم في العروق ، قال : ربي زدني قال : تتخذ أنت وذريتك في صدورهم مساكن قال : ربي زدني قال : تعدهم وتمنيهم)[19] ومن هذا يتضح أن الميدان الحقيقي لهذا التحدي هو الإنسان لهذا نرى العدالة الربانية لم تترك هذا الإنسان دون تعضيده بمقومات الاستمرار لتأسيس مشروعه الأساسي وهو استخلاف الله على مخلوقاته فحين شكى نبي الله آدم "عليه السلام" لربه سطوة إبليس وانه لم يقوى عليه في الجنة فكيف به وبذريته على الأرض فقال له رب العزة :(السيئة بالسيئة ، والحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة قال : ربي زدني قال : لا يولد لك ولد الا جعلت معه

ملكين يحفظانه قال ربي زدني قال : التوبة معروضة في الجسد ما دام فيه الروح قال : ربي زدني قال : اغفر الذنوب ولا أبالي)[20] .

لقد تعقدت الأمور على وفق تلك المعطيات وإثارة المشاكل وأصبح عقل الإنسان وحده هو الذي سوف يحدد مساره وبمساندة روحية الأنبياء العاملة وبالتالي نتائج مسيرة ذلك الإنسان على ضوء العروض المطروحة على ساحته ، صارت النفس البشرية بكل ما تحمل من غرائز وتوجهات محط الأنظار ، وفي ساحة الاختبار ، ومؤكد أن تلك الروحية النبوية المتفانية في سبيل إخراج ذلك الإنسان من ظلمات ذاته ومكائد الشيطان لم تكن لشخص واحدة ولا مئة بل (مائة ألف وأربعة و عشرون ألف نبي)[21] وكلهم كانوا يحاولون أن يحدوا من حركة إبليس اتجاه الإنسان لاستنقاذه وتحريك نوازع الخير في داخله وإظهار ما أودعه الله تعالى في نفسه (وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها)[22] وتحبيب الإيمان لها ، ولكن وللأسف الشديد إن معظم محاولات الأنبياء "عليهم السلام" انتهت بعواقب وخيمة جدا تمثلت بقتل النبي أو المرسل من قبل الآمة : (فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)[23] , وربما برزت هذه الصورة في بني إسرائيل بصورة أوضح وذلك لأنهم تعاملوا مع (الأنبياء أسوء المعاملة ، ففريقا يكذبونه ، وفريقا يقتلونه ، وما ذلك لأنهم يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم)[24] ولأن إبليس لا ينفك من نشاطه وتحقيق مآربه نراه على الدوام يحاول أن يثير تلك المشاكل ليعرقل حركة الأنبياء " عليهم السلام " وإذا أردنا أن نضع تصورا لتلك المشاكل سنراها على ثلاث اتجاهات ، الأول هو ذلك الاتجاه الذي استهدف به إبليس عائلة النبي وحاول إن يؤثر عليها كما نقل تلك المشاهد القرآن الكريم وهو يصور بشاعة العمل الشيطاني وتأثيره على النبي "عليه السلام" والاتجاه الثاني هو الذي سنتحدث به عن الأمة وكيف لعب الشيطان في قابليتها وحجم استعدادها عن تقبل المكنون الإلهي وذلك بأخذ بعض الحوادث القرآنية ذات العلاقة أما الاتجاه الأخير فسنتحدث به عن الطغاة الحاكمين اللذين تجسد الشيطان عبر عملهم وعلاقتهم بخط النبوة ، فعداوة إبليس لآدم وذريته تجسدت عبر مراحل الصراع الطويل بأوجه مختلفة وكانت (معروفة مشهورة ، وأما عداوة آدم "عليه السلام" والمؤمنين من ذريته لإبليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار أي المارقين عن طاعة الله المستحقين لمقته وعداوته)[25] ومن خلال ذلك التأمل سنرى بوضوح كيف جسد إبليس ذلك التهديد الذي طرحه في محضر الله تبارك وتعالى .

تعريف الاستخلاف

قبل الدخول إلى المشكلات التي واجهة مشروع الاستخلاف لابد من تعريف لهذا المفهوم في اللغة والاصطلاح فالخَلَف ، بالتحريك : (ما استخلفت من شيء ، ... أي استعوضته واستبدلته ، تقول : أعطاك الله خلفاً مما ذهب لك ، ولا يقال : خلفا ، يقال : هو من أبيه خَلف ، أي : بدل ، والبدل من كل شئ خَلف منه)[26] (. والخَلف : الخليفة بمنزلة مال يذهب فيخلف الله خَلفاً ، ووالد يموت فيكون ابنه خلفا له ، أي خليفة فيقوم مقامة . والخلف : القرن من الناس ، ويجمع على خلوف . والخُلف : خلف سوء بعد أبيه ، والخَلف : من الصالحين ، ولا يجوز [أن يقال] : من الأشرار خَلف ، ولا من الأخيار خُلف . وفي الحديث : " في الصالحين كل خلف عدوله ")[27] (وخلف فلانا – اذا جعله خليفته ، كاستخلفه)[28] والخليفة : من استخلف مكان من قبله ، ويقوم مقامه ، ... قال تعالى : "(هو الذي جعلكم خلائف ") [29]أي : مستخلفين في الأرض[30] .

اصطلاحا :

وأما اصطلاحا فقد عرف الشيخ الطوسي الخليفة (من قولهم : خلف فلان فلانا في هذا الامر : إذا قام مقامه فيه بعده ، لقوله تعالى : (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعلمون) يعني بذلك : أبدلكم في الأرض منهم ، فجعلكم خلفا في الأرض من بعدهم وسمي الخليفة خليفة من ذلك ، لأنه خلف من كان قيله ، فقام مقامه الخلف - بتحريك اللام - يقال : فيمن كان صالحا - وبتسكين اللام - إذا كان طالحا قال الله تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال : ينقل هذا العلم من كل خلف عدوله)[31] .

وعبر الطباطبائي : (إن الاستخلاف إنما هو بذهاب بعض وإزالتهم عن مكانهم ووضع آخرين مقامهم فيها ايمائة للقتال)[32]

وقال الرازي في معنى قريب من الإستخلاف :(فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات أي الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم في الأرض فيجعلهم الخلفاء والغالبين والمالكين كما استخلف عليها من قبلهم في زمن داوود وسليمان (عليهما السلام) وغيرهما)[33]

وقال د. اسعد وحيد : بأنه (مفهوم في غاية السمو والرفعة وهو اصطفاء الله سبحانه وتعالى من ينوب عنه ، ويقوم مقامه في تحمل مسؤولية اعمار الأرض وتسخير مقدراتها وخيراتها ، بل وكل ذرات الكون من اجل السير بالبشرية نحو سعادتها الحقيقية) [34]

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[35]

المطلب الأول

الأنبياء (عليهم السلام) مع أسرهم

أوضح القرآن الكريم أن هناك علاقات متأزمة عاشها الأنبياء مع ذويهم وفي أعلى المستويات وأثرت بشكل أو بآخر على فاعلية خط النبوة وبرنامج الاستخلاف وهو يشق طريقه لهداية الناس ، وسنقرأ في بعض النصوص القرآنية ما يؤكد تلك الحقيقة .

أولاً : النبي آدم (عليه السلام):

بين القرآن الكريم إن أول جريمة على الأرض حدثت في عائلة النبي آدم " عليه السلام " متمثلة بولديه الصلب ، وربما وضحت هذه الحادثة بما تحمل من مرارة ، وشراسة الصراع القادم بين الأنبياء والشيطان فمؤكد أن قابيل كان الأداة الفاعلة لتخطيط إبليس آنذاك ولعل هوية تلك الجريمة تعطي لنا تصور منطقي على حجم الإمكانية الإبليسية الموظفة لتهديم مشروع الاستخلاف فقد قتل الأخ أخوه والأخ كان نبي وكان الخلاف يدور على أمر إلهي يتعلق بقبول القربان الذي كان قبوله متعلق بالتقوى (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال " قابيل " لأقتلنك " وعده بالقتل بعد عدم قبول قربانه وقبول قربان أخيه ، لفرط الحسد على ذلك ولبقاء ما يريده له " قال " أخوه هابيل " إنما يتقبل الله من المتقين " أي إنما أصابك ما أصابك من عدم القبول عند الله من قبل نفسك ، لا من قبلي ، فلم تقتلني ؟ فاقتل نفسك لا نفسي ، وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره فيكون الذنب له لا للمحسود ، فلا بد أن يجتهد في تحصيل ما صار به المحسود محسودا و محفوظا لا في إزالة حظ المحسود فإن ذلك يضره ولا ينفع الحاسد ، بل يضره و هو ظاهر . وفيه دلالة على أن القبول يشترط فيه التقوى)[36] وكان هابيل بتلك الأفكار الرسالية يواجه بها سطوة أخيه المتغطرس والذي ملئ قلبه الحقد والكراهية[37] وقيل(كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لأن المدافعة لم تكن جائزة في ذلك الوقت ، وتلك الشريعة)[38] ومن هذا يتبين قوة البناء الديني في شخصية هابيل"عليه السلام" (فإن ذكر المتقين لربهم وهو الله رب العالمين الذي يجازي في كل إثم بما يتعقبه ويظلم بوروده مورد التهلكة)[39] هكذا كان حال هابيل متمتعا بقوة الاندفاع الروحي نحو إصلاح شأن أخيه وبالتالي هذا مؤشر ايجابي حول هذه الشخصية المعدة من قبل النبي آدم "عليه السلام" في برنامجه التالي الذي حاول إبليس إيقافه عن طريق قتل هابيل "عليه السلام " .

ثانياً : النبي نوح (عليه السلام):

واجه نوح " عليه السلام " تحديات خطيرة على المستوى العائلي وبين القرآن الكريم أن إبليس تمكن من شخصيتين مهمتين من تلك العائلة وهما زوجته وأحد أبنائه والذي رفض الصعود بالسفينة لحظة الغرق الشامل وكان يحمل عقلية واهية وتحجج بصعوده لأحد الجبال (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ

فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)[40] (واختلفوا في أنه هل كان ابنه من صلبه أو لا ؟ فروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وجماعة أنهم قالوا : كان ابنه من صلبه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما بغت امرأة نبي قط . وكان عكرمة يحلف أنه كان ابن نوح لصلبه)[41] أما امرأته فأن القرآن الكريم لم يتعرض إلى حركتها والاتجاه المعاكس الذي كانت تعمل به بشكل تفصيلي واكتفى تعالى بوصفها خائنة للنبي " عليه السلام " (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)[42] (فالخيانة والنفاق واحد إلا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد والأمانة ، والنفاق يقال اعتبارا بالدين ، ثم يتداخلان ، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر ونقيض الخيانة : الأمانة ، يقال خنت فلانا وخنت أمانة فلان وعلى ذلك قوله :
(لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ")[43] ، وهاتان المرأتان كانتا تحيكان المؤامرات الدنيئة لتهديم البناء النبوي (وليس إلا ظاهرا في إنهما كانتا كافرتين تواليان أعداء زوجيهما وتسران إليهم بأسرارهم وتستنجد بهم عليهما) [44]
ثالثاً : النبي إبراهيم (عليه السلام) :
تمثلت تحديات النبي إبراهيم باتجاهين الأول تمثل بمعاناته مع أبيه آزر والثاني مع كم من الابتلاءات تعرض لها في حدود أسرته ، أما من ناحية الأول فقد حاول استمالة أبيه آزر وإخراجه من أتون الظلال والانحراف وإطاعة الشيطان وذلك (بقوله يأبت تذكيرا له بالصلة القوية التي تربط بينهما ...وأخذ يكرر هذا النداء في صدر كل جملة يخاطبه إياه ، استمالة له وترقيقا لقلبه)[45] ولعل هذه الاحتجاجات المؤثرة والالتزامات القوية وهي الأولى من نوعها لان (أبوه آزر هو اعلم القوم بعمل الأشخاص والأصنام ورعاية الإضافات النجومية فيها حق الرعاية ولهذا كانوا يشترون منه الأصنام لا من غيره)[46] ويبدو انه أراد أن يزعزع هذا الاعتقاد الذي ولد لآزر حرصه على إتقان الحرفة ورغم حرص نبي الله إبراهيم "عليه السلام" على أبيه آزر لم يكن ليرغب إلى (إنكار الأصنام أو مخالفتها وتحقيرها على لسانه)[47] وهدده بالرجم وهو أسوء أنواع القتل وكذلك طرده وإخراجه عن محل إقامته[48] ، أما الاتجاه الثاني فكان يتمثل في قصة زوجته هاجر وابنه إسماعيل وتتلخص محاولات إبليس مع تلك المرأة في ثلاث مواضع الموضع الأول تمثل بالحساسية الأسرية المفرطة التي كانت تبديها زوجته الأولى سارة من وجود هاجر وإسماعيل وما مثله من تحد في صميم القيم التي كان النبي " عليه السلام " يوصي بها فعن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن إبراهيم عليه السلام كانا نازلا في بادية الشام فلما ولد له من هاجر إسماعيل اغتمت سارة من ذلك غما شديدا لأنه لم يكن له منها ولد و كانت تؤذي إبراهيم في هاجر وتغمه فشكى إبراهيم ذلك إلى الله عز وجل فأوحى الله إليه إنما مثل المرأة مثل الضلع العوجا إن تركتها استمتعتها وان أقمتها كسرتها ثم أمره أن يخرج إسماعيل وأمه فقال يا رب إلى أي مكان ؟ قال إلى حرمي وأمني وأول بقعة خلقتها من الأرض وهي مكة)[49] وبما إن إسماعيل " عليه السلام " نبي وخارج محاولات إبليس فأنه سيحاول لا محالة مع أمه هاجر لعله يوقعها في

شراكه فحين (ودعهما لينصرف عنهما بكيا فقال لهما إبراهيم "عليه السلام" ما يبكيكما فقد خلفتكما في أحب الأرض إلى الله وفي حرم الله فقالت له هاجر يا إبراهيم ما كنت أرى نبيا مثلك يفعل ما فعلت قال وما فعلت قالت إنك خلفت امرأة ضعيفة وغلاما ضعيفا لا حيلة لهما بلا أنيس من بشر ولا ماء يظهر ولا زرع قد بلغ ولا ضرع يحلب قال فرق إبراهيم ودمعت عيناه عندما سمع منها فأقبل حتى إنتهى إلى باب بيت الله الحرام فأخذ بعضادتي الكعبة ثم قال اللهم إني أسكنت من ذريتي الآية قال فأوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أن أصعد أبا قبيس فناد في الناس يا معشرا الخلايق إن الله يأمركم بحج هذا البيت الذي بمكة محرما من استطاع إليه سبيلا فريضة من الله)[50] ، أما الاتجاه الثالث فكان الأخطر والأكثر صعوبة وقد تمثل في ذبح إسماعيل " عليه السلام " وترويج ابليس فكرة العصيان لدى هاجر(عليها السلام) لتنفيذ هذه الخطوة ، لاسيما وان هذا الأمر جاء بعد فراق لأسرته دام عدة أعوام ، أما إسماعيل "عليه السلام" (فكان يوم إذ ابن ثلاث عشر سنة)[51] ـ أي بعد عودة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) إلى البيت الحرام ـ إلا أن كل محاولاته مع السيدة هاجر باءت بالفشل والفشل الذريع ، بعكس نجاح محاولاته مع السيدة سارة التي أجبرت نبي الله إبراهيم "عليه السلام" بطريقة مؤلمة على إبعاد السيدة هاجر ونبي الله إسماعيل"عليه السلام" .

رابعاً : النبي لوط " (عليه السلام) :

أيضا تعود قصة الزوجة الخائنة هنا بوضوح ، قال تعالى:(فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ)[52] (أي لما بلغ الأمر إلى هذا الحد أنجينا لوطا وأتباعه الواقعين وأهله الطيبين ، إلا زوجته التي كانت على عقيدة قومه المنحرفين فتركناها . قال البعض : إن كلمة " أهل " وإن كان المتعارف إطلاقها على العائلة ، ولكن في الآية الحاضرة استعملت في الأتباع الصادقين ـ أيضا ـ يعني أنهم كانوا معدودين جزءا من أهله وعائلته أيضا ، ولكن يستفاد من الآية 36 من سورة الذاريات* أنه لم يؤمن بلوط ودعوته أحد من قومه قط إلا عائلته وأقرباؤه ، وعلى هذا الأساس يكون لفظ الأهل هنا مستعملا في معناه الأصلي ، أي أقرباؤه)[53]. وبما أن الزوجة تعدّ من ركائز الأسرة الأساسية في تنمية الوعي الديني في الأسرة وفي الدوائر المحيط بها ، فكيف وقد ضربت خاصرة الرسالة و خُرقت الأسرة النبوية وأُذيعت أسرارها ، فكان ما كان و لتتحمل مع قومها أوزار ما قاموا به من إجهاض المشروع الإلهي في المنطقة باندثار ذلك المجتمع و إلى الأبد .

خامساً : النبي يعقوب (عليه السلام) :

قال تعالى : (قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)[54] وتبدوا الإجراءات الاحترازية من الشيطان ومخططاته واضحة في هذا الإيجاز الذي يقدمه النبي"عليه السلام" لنبي آخر خشية أن تصاب العائلة النبوية ببعض الاهتزازات فيدخل الشيطان من خلالها وهو ما حدث فعلا وأصيب خط الاستخلاف باضطراب كبير يوم ذاك ، وتحولت تلك الرؤيا إلى بركان أتى على الأخضر واليابس وهكذا حدث صراع مرير بين الأخوة في شأن الرؤيا وحاولوا قتل أخيهم إلا أن أحدهم أستبعد فكرة القتل وقال (لا تقتلوا يوسف فإن

القتل عظيم وألقوه في غيابت الجب في قعر البئر وقرئ غابات يلتقطه أي يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الأرض إن كنتم فاعلين ما يفرق بينه وبين أبيه)[55] وبذلك تظهر بوضوح محاولات إبليس في الولوج إلى البيت النبوي بشتى الطرق والمكائد كل ذلك من أجل أن يجسد روحية العداء بخط النبوة والاستخلاف والذي من أجله
أخرج من ساحة القبول الإلهي .
المطلب الثاني : الأنبياء (عليهم السلام) مع أممهم :
إن الحديث عن تلك الفاعلية والحركة وانعكاساتها يحتاج منا إلى الكثير ولكن سنأخذ الأنبياء أولو العزم لنوضح من خلال بعض الحوادث عن تلك العلاقة بين النبي والأمة من جهة وبين الشيطان ومدى تأثيره على الأمة من جهة أخرى .
أولاً : النبي نوح (عليه السلام) :
يمكن القول إن ما جرى في حقبة نبي الله نوح "عليه السلام" دلالة واضحة على عناد الأمة
وابتعادها عن النصح والإرشاد ، ذلك العناد الذي أوقف مساعي نبي الله نوح "عليه السلام" الجادة لعدم وصول الأمة إلى مرحلة التعاطي الإيجابي مع اطروحة الأنبياء باعتبارها امة ضالة معاندة لذا نراه "عليه السلام" (دعا عليهم حين يأس من إتباعهم إياه ... دعا عليهم بعد أن أوحى الله إليه : " أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن"[56] فأجاب الله دعوته وأغرق أمته)[57] وكان ذلك الدعاء بمثابة نهاية ما وصل إليه النبي من استنتاجات عملية ومن استشراء حالة اللاوعي لتلك الأمة التي ركبها الشيطان فبعد تلك القرون الكثيرة وتلك السياسيات الردعية من قبل الحضرة المقدسة والمتمثلة بحبس المطر وتقنين الإنجاب وتدهور الحالة الاقتصادية لعلهم يرجعون ويدركون ، إلا أنهم كانوا يزدادون عنادا واستخفافا برسل الله فقال الله تعالى لهم (وانتم كلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه أنفسكم استكبرتم عليهم تجبراً وبغياً ، استكبار إمامكم إبليس) [58] ومشكلة العناد الذي مارسته الأمم من اعقد المشاكل التي واجهة الأنبياء والمرسلين والأكثر حراجة لأن الأمة تدرك المعاجز وتعيها تماما بل ترى قسم منها رؤيا العين ولكنها تصر على عنادها متجاهلة التحذيرات والتهديد والوعيد الذي يسيقه الأنبياء"عليه السلام" كمادة من مواد التذكير[59] ، والغريب في الأمر أن تلك المعاجز الحسية التي جاء بها الرسل والأنبياء "عليهم السلام" لم تلقى عقولاً تقرأ تاريخ الشعوب الماضية قراءة صحيحة فيبدو من خلال الأحداث التي نقلها القرآن الكريم عن الأمم السابقة أن الله تعالى كان يبعث برسائل التذكير إلى الأمم وسماه (جل وعلا) بالعذاب الأدنى (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[60] والعذاب الأدنى هو ابلغ مادة من مواد التذكير إذ أن (غاية إذاقتهم العذاب رجوعهم المرجو و هو الرجوع إلى الله بالتوبة والإنابة وكان المراد بالعذاب الأدنى هو عذاب الدنيا النازل بهم للتخويف والإنذار ليتوبوا دون عذاب الاستئصال ودون العذاب الذي بعد الموت)[61] وكان هذا رحمة من الله تعالى ليدفع بأقل الخسائر من البشرية المتمردة على القوانين الإلهية أملا في عودتها لعلمه سبحانه وتعالى بشدة العذاب

وعدم استحمال بني آدم له (وهكذا يربي الله عباده بالبلاء الذي قد يكون نوعا من العذاب في الدنيا ، ليذوقوا مرارته ، وليحسوا بآلامه ، ويتذكروا به عذاب الآخرة ، فيرجعون إلى الله ، بعد أن ابتعدوا عنه وتمردوا على طاعته)[62] وهذه المواد لا تقف على امة دون غيرها حتى في عالمنا اليوم بعد أن انفلتت الآدمية وتجاوزت كل المقاييس الأخلاقية نرى ان الله تعالى يبعث بهذه الرسائل التذكير من حين إلى آخر رحمة من عند الله تعالى على خلقه .

ومن خلال هذا المشهد المتأزم ، مشهد الأمة التي أستمر عصيانها ألف إلا خمسين عام ، فذلك يثير في النفس وفي العقل الاضطراب إلى حد ما ، ورغم كل البراهين تبتكر الأمم طرقا من اجل الإطاحة بمشاريع الأنبياء الإحيائية ، وتظهر لنا بوضوح السنن التاريخية الخلاصة المرفوعة من النبي نوح "عليه السلام" إلى مقام العزة المقدسة وكيف قلبوا المعادلة رأسا بعقب إذ كلما ازداد إلحاح نبي الله نوح "عليه السلام" عليهم زاد نفورهم منه (واستغشوا ثيابهم أي طلبوا ما يستترون به من الثياب ويختفون به لئلا يرونه . وقال الزجاج : معناه أنهم كانوا يسدون آذانهم ويغطون وجوههم لئلا يسمعوا كلامه ... فلما كانوا مقيمين على الكفر بالعزم عليه مصرين . وقيل أن الرجل منهم كان يذهب بابنه إلى نوح ، فيقول لابنه : احذر هذا لا يغوينك ، فان أبي قد ذهب بي إليه وان مثلك ، فحذرني كما حذرتك)[63] .

ولعل النهاية المفجعة لهؤلاء وإغراق الأرض جميعها كان هو الحل الأمثل بعد أن اختنقت الخيارات لدى نبي الله نوح "عليه السلام" لاسيما وقد استند إلى إشارة ربانية بهذا الخصوص[64] وبدأت الآدمية من جديد رحلة أخرى لا تختلف كثيرا عن سابقتها وليؤسس نبي الله نوح"عليه السلام" والذين معه إلى مرحلة أخرى بعد تجربته الأليمة مع أمته .

ثانياً : النبي إبراهيم (عليه السلام) :

المواقف القرآنية التي تحدثت عن حركة نبي الله إبراهيم "عليه السلام " كثيرة ولكن سنأخذ موقفين لدلالتهما على الموضوع ، لنرى كيف أن خط النبوة يحاول دوما أن يجسد فكرة الخلافة وأن يحجم دور إبليس في الأمة . فقد واجه نبي الله إبراهيم "عليه السلام" سلسلة من التحديات والانحرافات العقائدية وكانت تتمثل بالعبادات الباطلة لمجوعة من الإلهة فكان لزاما عليه أن يواجه تلك الانحرافات بشيء من الحكمة والاحتواء العقلي فأخذ على عاتقه وضع أساليب جديدة ومركزة في إحداث موجة من التشكيك داخل المنظومة العقائدية لذلك المجتمع الذي وضع إبليس لبناته الفكرية فقد روي أن المأمون العباسي وجه بعض التساؤلات إلى الإمام الرضا "عليه السلام" فقد سأله (عن قول الله عز وجل في إبراهيم ـ "فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي"[65] فقال الرضا "عليه السلام" إن إبراهيم وقع إلى ثلاثة أصناف صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس ... فلما أفلت قال للأصناف الثلاثة من عبدت الزهرة والقمر والشمس يا قوم إني برئ مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وإنما أراد إبراهيم بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم

أن العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله عز وجل وآتاه كما قال عز وجل وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه)[66] ولا شك أن دخول الخط الرسالي إلى عالم الأفكار المنحرفة لترميمها وإعادة بنائها يؤزم العلاقة بين الأمة وأعداء المشروع لأنه سيغلق المنافذ التي يدخل من خلالها إبليس ويوضح للأمة الخلل الذي اعتمدت عليه في ترويج ظاهرة الإله الباطل فكان اعتماد سياسة التشكيك في المعتقدات الوضعية التي بثها إبليس طريقة النبي إبراهيم "عليه السلام" أما المقطع الثاني فكان يتمثل بزيادة الوعي العقائدي المبني على أسس رصينة تعتمد على المنهج التجريبي فقد كانت الأمة تواجه مشكلة الحياة الآخروية والعودة بعد فناء الأجساد والمستوى ألتنظيري يعجز عن إيصال أبناء المجتمع إلى مستوى التسليم بهذا الموضوع العقائدي فكان لزاما على نبي الله إبراهيم"عليه السلام" أن يتحرك لإيصال الأمة إلى ذلك المستوى المنشود وزرع الثقة عندهم بقدرة الله تعالى المطلقة (" وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى" إنما سأل ذلك ليصير علمه عيانا قال أولم تؤمن بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم أنها غرق الناس في الإيمان وأثبتهم ليجيب بما أجاب فيعلم السامعون غرضه)[67] أي أن المقصود لم يكن الإيمان القلبي لنبي الله إبراهيم "عليه السلام" ، بل أن ذلك أثبت لإيمان الناس ولو كان المتعلق شخص النبي إبراهيم "عليه السلام" لما تطلب الأمر ذلك الحيز الجغرافي الكبير فقد (كانت عشرة أجبل)[68] ولرضي بمكان يرى به النبي إبراهيم "عليه السلام" إحياء الموتى ، إلا أن الموضوع كان يتعلق بإيمان الأمة بأسرها لأن تلك المساحة الجغرافية كانت بلا شك تمثل سعة المجتمع المحيط بحركته (قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال : لكي يعلموا انك تحي الموتى)[69] أي أن الأمة لابد وان تبلغ ذلك المستوى من الإيمان الرصين وهذا أعلى مراتب غلق الأبواب أمام العدو الذي كان يلعب بمقدراتهم وذلك بالتشكيك في كل موضوع يحمل صفة غيبية.

ولقد تعرض هذا النبي "عليه السلام" إلى مجموعة من الابتلاءات كلها تصب في نهاية المطاف لخلق قدرة استثنائية على قيادته لمشروع الاستخلاف قيادة متميزة ،(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)[70] فهذه الآية دلت (على إن الإمامة مقام رباني عظيم لم يبلغه نبي الله إبراهيم "عليه السلام" إلا بعد نجاحه في ابتلائه بكلمات منها امتحانه في إلقائه بنار نمرود ، منها إسكان زوجته وولده في واد غير ذي زرع ، ومنها اختباره باستعداده لذبح ولده إسماعيل) [71]

ثالثاً : النبي موسى (عليه السلام) :

تفرد بنو إسرائيل من بين كل الأمم في المحافظة على المرتبة الأولى في التجاوزات على خط النبوة وربما أكثر تلك المسائل غرابة هي مسألة ما بعد البحر حينما مر القوم على مجتمع يعبد بعض الآلهه ، مثل ما وثق القرآن الكريم : (وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)[72] ويبدوا نشاط إبليس واضح جدا

فقد حدث هذا المنطق بعد واقعة البحر والتي يفترض أن تجدد في الروح الصلة بقدرة الله تعالى ومِنَّتَهُ عليهم ولكن بدل ذلك يسود هذا المنطق الذي لا يحتاج إلى كثير من التوضيح فالنص يتحدث عن بني إسرائيل بعد أن انجاهم الله تعالى من سطوة فرعون (والعبر التي عاينوها على يدي نبي الله موسى ، فلم تزجرهم تلك الآيات ولم تعظهم تلك العبر والبينات حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكر معها البهائم ، إذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، يقومون على مثل لهم يعبدونها من دون الله ، اجعل لنا يا موسى إلها ، يقول : مثالا نعبده وصنما نتخذه إلها ، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها ، ولا تنبغي العبادة لشئ سوى الله الواحد القهار . وقال موسى صلوات الله عليه : إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم ، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشئ سوى الله الذي له ملك السماوات والأرض)[73] واستمرت لديهم تلك الأمنيات وبقى الشيطان يحركهم بذلك الاتجاه حتى وجد ضالته فبعد ذهاب نبي الله موسى " عليه السلام " لتلقي الكلمات أخرج (لهم السامري عجلا جسدا له خوار من حلي آل فرعون فتفرق بنو إسرائيل فقالت فرقة للسامري ما هذا قال هذا ربكم ولكن موسى أخطأ الطريق فقالوا لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس هذا بربنا وأشرب فرقة في قلوبهم التصديق وقال لهم هارون إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فلما كلم الله عز وجل موسى أخبره بما لقي قومه بعده فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه)[74] .

رابعاً : النبي عيسى (عليه السلام) :

لم يكن النبي عيسى "عليه السلام" في أمته التي انتظرته طويلا فضل حالاً من سابقيه من الأنبياء بمنأى عن إيذاء المجتمع اليهودي رغم دوي المعاجز التي بدأت قبل ولادته "عليه السلام" تحت تساؤلات العذراء "عليه السلام" (كيف ألد بنين وان لا اعرف رجلا فأجاب الملاك يا مريم إن الله الذي صنع الإنسان من غير إنسان لقادر إن يخلق إنسانا من غير إنسان)[75] ، واستمرت المعجزات معه بعد ولادته (فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)[76] وقالوا إن (لسخريتها بنا اشد علينا من زناها ، فلما تكلم عيسى ،قالوا : إن الأمر عظيم ...فقال عيسى "عليه السلام" عند ذلك اني عبد الله آتاني الكتاب ، معناه فيما مضى * وجعلني نبيا * لان الله أكمل عقله و أرسله إلى عباده ولذلك كانت له تلك المعجزة)[77] ويلاحظ من خلال الأحداث أن إثبات براءة مريم "عليه السلام" كانت خارج تصورات العقل البشري وهو أن يتكلم المولود توا بمفاهيم يصعب على العلماء تصفيفها ، ذلك لان ما جاءت به مريم "عليه السلام" كان هو الآخر خارج تصورات العقل وهو حملها وهي عذراء لم يمسسها بشر، من هذا نستنتج أن معجزة الحمل والولادة ومعجزة التكلم في المهد إنما هو إعداد لمرحلة الاستخلاف الحقيقي للنبي عيسى "عليه السلام" وتمكنه من الأرض خاصة وان المعجزات لم تفارقه إلى آخر ساعة من وجوده على الأرض وبإشكال شتى (إِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْراةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي)[78] واستمرت حتى اختفائه وستراها الآدمية حين رجعته لإتمام برنامج الاستخلاف الذي تعثر هو الآخر في أمته ، (فلما شرح لهم تلك المعجزات وأظهر لهم تلك الدلائل فهُم بماذا عاملوه فقال تعالى :" فلما احس عيسى منهم" ...الإحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة وهنا وجهان احدهما: أن يجري اللفظ على ظاهره ، وهو انهم تكلموا بالكفر ، فأحس ذلك بإذنه والثاني : أن نحمله على التاويل ، وهو ان المراد أنه عرف منهم اصرارهم على الكفر ، وعزمهم على قتله)[79] وبتعبير مقارب انه (تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس)[80] وأطبقت اليهودية على معتنقي المسيحية الذين آمنوا بأن المسيح "عليه السلام" هو رسول الله تعالى إليهم فعمدت إلى تقويض رسالته عن طريق أمرين:

الأمر الأول : عمدت إلى تشويه هذه الرسالة بأن قالت أن عيسى هو الإله (وحدث في هذا الزمن اضطراب عظيم في اليهودية كلها لأجل يسوع لانالجنود الرومانيين أثارت بعمل الشياطين العبرانيين قائلين أن يسوع هو الله قد جاء ليفتقدكم فحدثت بسبب ذلك فتنة كبرى ... لان فريقا قال أن يسوع هو الله قد جاء إلى العالم وقال فريق آخر كلا بل هو ابن الله وقال آخرون كلا لأنه ليس لله شبه بشري ولذلك لا يلد بل أن يسوع الناصري نبي الله وقد نشا هذا عن الآيات العظيمة التي فعلها يسوع)[81] .

والأمر الثاني: عمدت اليهود إلى متابعته من اجل اغتياله وتصفيته فتتبعوه (لعلهم يجدون منه سقطة تثير عليه غضب الرومان ، فلما لم يجدوا تقولوا عليه وكذبوا ، فاغضبوا الحاكم الروماني على عيسى ، فاصدر أمره بالقبض عليه وحكم عليه بالإعدام صلبا)[82] ، ولكن الله كتب له (النجاة من هذه المؤامرة ، وإنسل من بين المجتمعين فلم يحس به احد ، وترك بني إسرائيل بعد أن يئس من دعوتهم وبعد أن حكموا بإعدامه. وليس موضع خلاف على الإطلاق عند المسلمين أن عيسى نجا من الصلب)[83] ، بعد أن شُبه لهم من قبل الله تعالى فيه ، واختلفوا في كيفية التشبيه[84]، وبهذا تنتهي محاولات النبي عيسى "عليه السلام" في أن يجعل أمته امة مستخلفة من قبل الله تعالى على الأرض ولكنه سيعود لتلاميذه ليؤدبهم فيقول لهم : (أتحسبونني أنا والله كاذبين لان الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم ، كما قلت لكم، الحق أقول لكم إني لم أمت ، بل هذا الخائن)[85].

خامساً : النبي محمد " صلى الله عليه وآله وسلم "

بعد أكثر من 600 سنة من ولادة المسيح "عليه السلام" ولد الإسلام متمثلا بشخص نبي الرحمة النبي محمد "صلى الله عليه وآله" في امة العرب وفي قريش تحديدا التي كانت تحتضن بيت الله الحرام ، ولكنها جعلت منه مقرا لعبادة أصنامها فقد(دخل النبي "صلى الله عليه وآله" المسجد وحوله ثلاث مائة وستون صنما)[86] ، وكان "صلى الله عليه وآله" قد بدأ حياته الشريفة وهو يدرس الظروف المحيطة حوله والحضارات المتاخمة للجزيرة والأوضاع فيها كالحضارة الفارسية في الشرق والحضارة الرومانية في الغرب ودولة الحبشة في الجنوب الغربي ،

وكانت حينها الجزيرة لا تمتلك أدنى مقومات الدولة المدنية ولا النظام الإداري ولا الحياة المستقرة ، فقد كان حكم القبيلة هو السائد وتسلط الأسياد والأقوياء على الفقراء والعبيد[87] .

ولقد كان النبي "صلى الله عليه وآله" له سمعة لا يمتلكها احد في قريش ، من رفعة الخلق والصدق والأمانة وحسن التدبير وحسم المواقف الحرجة ، ولعل في حادثة اختلاف القبائل في وضع الحجر الأسود في محله بعد أن أتموا بناء الكعبة وأتسع الخلاف على من له الشرف في رفع الحجر إلى موضعه (وشجر الأمر بينهم وكادوا يقتتلون ثم اجمعوا على تحكيم أول من يدخل عليهم المسجد ، فكان الداخل محمدا فقالوا: هذا محمد الأمين قد رضينا به حكما)[88] (وحسم النزاع برجاحة عقله وسمو مقامه ، وقد كان لهذا الموقف أثر كبير في نفوس تلك القبائل ، وبتعميق مكانة الرسول ودوره القيادي والثقة بشخصيته وحكمته وأمانته)[89] ، وهذه دلالة واضحة على عظمته في قومه ، على عكس ما ادعى نولدكه من أن(محمدا كان بطبعه ضعيف العزم ... ، لقد كان يخاف إلى درجة انه لم يتجرأ في البدء على المجاهرة برسالته)[90] ، فكيف والحال هذه وقد سحب ميزتين عظميين من جميع القبائل أولاهما وضع الحجر الأسود على رداءه الخاص به دون اعتراض القوم والميزة العظمى الآخرى رفعه الحجر الأسود بيده الشريفة ووضعه في محله ولم ينازعه أحدا من قومه في ذلك ، فضلاً عن انه "صلى الله عليه وآله" صاحب الاقتراح الذي رضخت كل القبائل له ، واستمرت هذه السيرة المؤثرة في المجتمع المكي و بمعتنقي الديانتين المتاخمتين للجزيرة اليهودية والمسيحية وخاصة إن هناك إشارات تبشر بمجيئه فحين سؤلَ النبي عيسى "عليه السلام" من قبل اللّاويين عن حقيقته وهل هو أعظم شأنًا من رسول الرب الذي بشر به وسماه (مسيا) أجاب (لست احسب نفسي نظير الذي تقولون عنه ..الذي خلق قبلي وسيأتي بكلام الحق و لا يكون لدينه نهاية)[91] وبعد انبثاق الرسالة المحمدية ، (ولما طمع محمد عليه السلام من أهل مكة النصرة والإعانة صاروا من اشد الناس عليه حتى قال : " ما أوذي نبي مثل ما أوذيت ")[92] وفعلوا بأنصار الرسالة كلما تصل أيدهم إليه ، ولكن الله أراد غير ذلك . وخلال المراحل المتعددة التي عاشتها الرسالة كان النبي "صلى الله عليه وآله" يهيئ المناخات اللازمة لصناعة مشروع الاستخلاف الذي سوف يضمن ديمومة الرسالة على وجهها الذي بلغته الإرادة الإلهية المقدسة وسط مجتمع يتعاطى مع رجال الرسالة الحقيقيين من عقدة ولدتها الأحداث الأولى لانبثاق الرسالة ، رغم أن النبي الأكرم "صلى الله عليه وآله" قد وضح في أماكن عدة أن الاستخلاف ليس من مختصاته إنما هو أمر الإلهي (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ)[93] وأحدثت هذه الآية المباركة هزة لاشعورية لدى المسلمين كل حسب ميولاته وطموحاته ، فأريد قدر المستطاع إبعادها عن غايتها لأنها تحكم الدلالة على المستخلف بعد النبي "صلى الله عليه وآله" [94] ، ولكن الكثير من المفسرين وضعوا الآية موضعها الحقيقي مستندين على الوقائع التاريخية التي تدعم رأيهم القائل إن علي ابن أبي طالب "عليه السلام" قد تصدق في خاتمه وهو يصلي في

المسجد نافلة إلى سائل حين أحجم المسلمون عن إعطائه أي شيء ، وحين جاء رسول الله "صلى الله عليه وآله" إلى المسجد فاعلموه بذلك ، ويظهر أن هذا الأمر احدث فضولا لدى المتواجدين لمعرفة حكم التصدق في أثناء أداء الصلاة ، فنزلت الآية الكريمة فقرأها "صلى الله عليه وآله" ثم قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعادي من عاداه [95] .

الذي يهمنا من هذا الأمر أن قضية الاستخلاف كان ينظر لها النبي "صلى الله عليه وآله" على أنها المفصل الرئيسي في حياة الأمة ، ولكن الأمة قد فشلت تماما في التعاطي مع أفكار النبي "صلى الله عليه وآله" وهذا ما يوضحه بجلاء ما جرى في اليومين الأخيرين من حياته الشريفة ، حين كان ابرز رجال أمته يتواجدون عنده ، فحصل ما يمكن اعتباره الانهيار الأخلاقي الأعلى دون تردد ، فسميناها المشكلة الأخطر .

المشكلة الأخطر :

لعل أكثر المسائل خطورة في طريق الاستخلاف تلك الحادثة التي حدثت في مرض الوفاة للنبي "صلى الله عليه وآله" وسميت فيما بعد (برزية يوم الخميس) يقول ابن عباس : (يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى تراءت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوني بالكتف والدواة "أو اللوح والدواة" اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر)[96] نُقل الخبر باختلافات بسيطة بين الرواة ، ولكن المهم أن النبي "صلى الله عليه وآله" منع من أن يوصي بوصية تحصن الأمة من الضلال– وهذا قول نبي – وتؤشر لنا هذه الحادثة جملة من الأمور لعل أبرزها هو عدم احترام النبي "صلى الله عليه وآله" ، وكذلك الخشية الكبيرة مما أراد أن يكتبه بما هو خارج الطموحات الحزبية والتسلطية ، ونتلمس أيضاً وحدة الموضوع فيما أرد أن يكتبه النبي "صلى الله عليه وآله" وفيما قاله مسبقا في حديث الثقلين لاشتراكهما في اللفظ والمعنى، "بلن تضلوا ابد"[97] والغريب في الأمر إن الوحي الإلهي أشعر الأمة بخشية النبي "صلى الله عليه وآله" من هذا الأمر وفق معطيات ما قبل بيعة الغدير- أي نزول الآية الكريمة "بلغ " وحملت في آخرها "والله يعصمك من الناس"[98] .

ومما أظهرته هذه الحادثة أيضاً تشكيل فريقين ، الفريق الذي قال بعدم الكتابة كان بقيادة الخليفة عمر بن الخطاب ، ويبدو انه هو الأقوى للحد الذي زجر فيه النسوة في داخل الدار النبوي بعد إنضمامهن للفريق القائل بأن يؤتى رسول الله "صلى الله عليه وآله" حاجته فقال حينها : (اسكتن فأنكن صواحبه *،إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه ، فقال رسول الله "صلى الله عليه وآله" هن خير منكم)[99]، وهو الفريق عينه الذي إستلم مقاليد الأمور بعد وفاة النبي "صلى الله عليه وآله" تحت عنوان الخلافة ، وهذا ماذهب اليه الإمامية من خلال الأدلة الواضحة ، خلافا لإعتقاد أهل السنة بتقديمهم الخليفة ابا بكر.

ومن خلال ما تقدم ظهرت لدينا العقدة في مشروع الاستخلاف وهي النظر للأمر على إنه سلطة و منافع و ليس طاعة وعبادة .

المطلب الثالث : النبي " عليه السلام " مع الحاكمين .

لقد عُرف نبي الله إبراهيم"عليه السلام" بجداله لعبدة الأصنام وهو ما يزال فتى غير آبه

بسطوتهم وعلاقتهم الوطيدة بالحاكم ، واستثمر خلو المعبد في يوم يقال انه كان عيدهم حينما بدا نبي الله إبراهيم "عليه السلام" عملية تهشيم الأصنام وهي قبلة المجتمع يوم ذاك واهم مرتكز من مرتكزاتهم العقائدية فتهشيمه والاستخفاف به يمكن أن يعيد الحسابات العقلية للأمة ويعيد نشاطها الموضوعي في البحث عن الإله الحق ، يشير القرآن إلى أن هذه المرحلة في حياة نبي الله إبراهيم "عليه السلام" هي نقطة بداية مشروعه الإستخلافي والإصلاحي ، (فَرَجَعُوا إلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ)[100] هذه المراجعة هي التي كان ينشدها النبي"عليه السلام" فان أعداء المشروع قد عثوا بالعقلية الآدمية فسادا ولابد من محاولات حقيقية لإرجاعها ، وهذا الأسلوب جديد على الآدمية ، إذ أن نبي الله إبراهيم "عليه السلام" لم يكذب ولكنه وارى حديثه ، حسب حديث الإمام الصادق "عليه السلام" حينما سؤل : (. ..ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم "عليه السلام" ، فقلت : كيف ذاك ؟ قال : إنما قال إبراهيم : فاسألوهم إن كانوا ينطقون فكبيرهم فعل ، وان لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئا فما نطقوا وما كذب إبراهيم عليه السلام)[101] هذا التعاطي مع الواقع وإفرازاته واستحقاقاته الفكرية جعل من خط الرسالة يتبنى تغيير الممارسات الإصلاحية كلما تطلب ذلك تماشيا مع تطور حركة إبليس وفاعليته في الأمة وحتى حينما تعامل مع أبيه نرى الموقف العقائدي يتغلب على العاطفة وهذا من صميم الممارسة الرسالية فأزر كان (يعبد الأصنام الذي يعبدها قومه .. فيواجهه بالإنكار القوي الرافض للموقف من الأساس لرفضه الفكرة التي يرتكز عليها ، انه الموقف الصلب الذي لا يهادن ولا يجامل ..ولايغلف الأشياء بغلاف سحري ، بل يدفع الموقف إلى الإمام ، بكل وضوح وصراحة .. بعيدا عن المجاملة واللياقة التي تفرضها علاقة الابن بابيه .. لان قضية العقيدة لا تخضع للجانب العاطفي للعلاقات لان علاقة الإنسان بالحقيقة التي تربطه بالله أقوى من أية علاقة بأي إنسان)[102] هذا التنوع بالأداء هو الذي جعل أعدائه تحجموا في المساحة التي كان النبي إبراهيم "عليه السلام" يتحرك بها ، والمقطع التاريخي الآخر الذي نحاول أن نستعرضه هنا هو نتائج ذلك التحرك ، فمن المؤكد إن إذلال آلهة الأمة وتسفيه تلك الفكرة من قبل نبي الله إبراهيم "عليه السلام" لا يمر دون عقاب وهكذا أصدرت الأوامر بتصفيته وذلك بالقائه في النار وبدأ الصراع في أعلى درجات والوضوح بين اله نبي الله إبراهيم "عليه السلام" و بين الآلهة التي تكسرت (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ*قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)[103] ، ويبدو انه (لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه بالظلم)[104] ولعب إبليس دورا كبيرا في تفهيم النمرود بهذا القرار ويروى (أن نمرود بني صرحا طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا ... ، وجمعوا الحطب شهرا ثم أوقدوها ، واشتعلت واشتدت ، حتى أن كان الطائر ليمر بجانبها فيحترق من شدة وهجها . ثم قيدوا إبراهيم ووضعوه في المنجنيق مغلولا . ويقال : إن

إبليس صنع لهم المنجنيق يومئذ)[105] لأن إبليس يرى أن نبي الله إبراهيم "عليه السلام" وأساليبه الرسالية المبتكرة يشكل خطرا على برنامج تذويب الأمة في حوض الرذيلة والتلاشي إلا ان الله تعالى قلب تلك المخططات ، وتدخل العناية الإلهية ليتحول مجرى الأمور ضد معسكر النمرود ، لأن هذه الحادثة قد حشد لها النمرود وجمع الأمة لتشاهد هزيمة اله إبراهيم"عليه السلام" فلم تكن بمعزل عن حضور جيش النمرود وقادته وكافة المستويات من ابناء الشعب ، فبعد أن أوشكت النار أن تخمد (خرج النمرود مع جيشه وأشرف على موضع مرتفع لينظر إلى النار فرأى في وسط ذلك الموضع ماء وخضرة ورأى هناك شخصين والنار حوالبهما فقال إنا قد رمينا إنسانا واحدا فما لي أرى فيها نفسين فرجع متحيرا)[106] ولا شك أن هذه الحادثة أخذت مأخذها من الأمة ومن النمرود ومن جيشه وبدأت مرحلة التفكير الجاد في إله إبراهيم "عليه السلام"الذي أنقذه من النار .

ويعرض القرآن الكريم مرحلة النبي موسى "عليه السلام" التي شهدت تحولاً كبيراً في طبيعة الصراع بشيء من التفصيل ، فقد أصبح أعداء مشروع الإستخلاف يمتلكوا جيشا ذا عدة وعدد وله إرادة وجبروت لا يستهان به وهناك قادة عسكريون يحكمون القبضة على جميع ما في البلاد ، وهكذا كان لا بد من إجراءات جديدة تتفاعل مع متطلبات المرحلة الرسالية ، فالعداء في مرحلة بني إسرائيل كان يحمل أوجها سياسية أكثر من كونها محاولات لإقناع بعض عامة الناس بالشرك أو ما شابه ذلك ، ففي هذه المرحلة سيطر الفرعون على مقاليد الحكم وبدأ يصارع بهذا المستوى لهذا ذهبت الإرادة الإلهية إلى فرعون مباشرة كونه الغطاء الذي يعمل من خلاله إبليس لتحطيم بنية الاستخلاف في الأمة وهكذا بدأ المشروع بتحدي واضح من قبل الإرادة الإلهية لكل المناخات المختنقة آنذاك (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[107] وهذا (يعني فرعون وكان عدو الله بكفره وحدانيته وادعائه الربوبية ، وكان عدو موسى ، لتصوره أن ملكه ينقرض على يده)[108] لقد بدأت قصة موسى عليه السلام بذلك التحدي الكبير، (ففي الوقت الذي كان فرعون يقتل كل الأطفال لعله يقع على الطفل الذي سوف ينهي ملكه كان الله تعالى يأمر ام موسى ان ترميه في البحر بعد ان وضعته في صندوق خشبي ، وان الإلهام من الله جلت قدرته يعدها بنجاته بدليل أن الإلهام الذي نكت في قلبها وعدها بتمام تلك القصة العجيبة وقال : "فليلقه اليم بالساحل " أي أن موج البحر وجريان الماء يقذف ذلك التابوت بالساحل :على الشاطئ فلا يغرق ولا يصيبه مكروه)[109] وبهذه الكيفية المرعبة و(الفكرة الغريبة الخطرة التي لا يمكن أن تخطر لها على بال ، لان الأم لا يمكن أن تدفع الخطر عن ولدها بخطر آخر ، (فليلقه اليم بالساحل) بفعل الأمواج أو اندفاع التيار في اتجاه الساحل (يأخذه عدو لي وعدو له) وهو فرعون ، فتكون قد وقعت في الشيء الذي هربت منه)[110] وبعد مرحلة الطفولة تبرز ملامح استخفاف الله تعالى بمقدرات الطغاة حيث يكون الطاغية هو الذي يربي السفارة الإلهية وقائد مشروع التغير ورافع لواء المعارضة التي تستهدف البلاط الفرعوني مباشرة ، هنا يتضح ضعف التمويل ألإبليسي لجنوده ، فهو لا يعرف سعة التخطيط

الإلهي ، وتنمو المواجهة ويرفد الله تعالى نبيه بكل أدوات إقناع الأمة من المعاجز والأمة آنذاك منقسمة إلى نصفين الأول المجموعة الحاكمة والأمة الآخرى المحكومة المستضعفة وهم بنو إسرائيل ، ويأتي الإلزام الرباني (اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى)[111] وهذا هو الهدف الفعلي من الإرسال لان فرعون(تجاوز الحد في الاستعلاء ، والتمرد والفساد)[112] وكانت الإرادة الإلهية قد دعمت مشروع المواجهة بجملة من المعجزات وبالقدرة على إقامة الحجة بالدليل وسط حضور لافت في (يوم عيد كان لهم في كل عام ، وإنما خصه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ، ويشيع ذلك في ألاقطار)[113] ، ولعل المحادثة المثيرة بين السحرة من جانب وفرعون من جانب بعد ان سجدوا تعظيما لنبي الله موسى "عليه السلام" تظهر قوة وصلابة ما أوصله نبي الله موسى "عليه السلام" إلى مجتمعة ومن قوة الدليل ، وتحت تأثير الصدمة على الحاضرين جميعا يعمد فرعون وكسنة تاريخية لدى الحاكمين والمتسلطين إلى الظلم الصريح (بالتعذيب والتقطيع والصلب ، فهي طريقة الطغاة

المثلى لدى المواجهات)[114] .

ولم تنهي مراحل المواجهة بل تستمر و يستمر معها عدوان الأفكار الشيطانية على كل الأطراف سواء كان الحاكم أو المحكوم على حد سواء .

وتنتهي الحقبة الفرعونية بنهاية تاريخية مرعبة لمن له ادني فرصة للمراجعة . ولم ينتهي إبليس في كيده باعتباره هو العدو الرئيسي لكل ما يمت للحضرة الإلهية بصلة وللأمة المستضعفة التي أصبحت فيما بعد امة حاكمة .

وتستمر خطوط المواجهة بفاعلية أعلى تماشيا مع الحالة المطروحة والتي بدأت باستحداث أفكارا جديدة ولتخلق مشاكل جديدة ، ومنها مشكلة ألسامري وهو صنيعة أخرى في المواجهة مع نبي الله موسى "عليه السلام" فعن أمير المؤمنين ع قال (لما تعجل موسى إلى ربه عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي بني إسرائيل فضربه عجلا ، ثم ألقى القبضة في جوفه فإذا هو عجل له خوار فقال لهم ألسامري هذا إلهكم واله موسى)[115] وهذا يعني تلاشي ثوابت الإيمان لدى الملتحقين بمعسكر السامري ، (ولما رجع موسى وكان معه سبعون نفرا من الذين لحقوا به في الموعد – سمع هذه الضوضاء الغريبة وهذه الطقوس غير المعتادة فقال (عليه السلام) : (هذه أصوات الفتنة التي ابتلوا بها. وحين رأى القوم والعجل من بينهم عاتبهم... ثم حمل على أخيه هارون يعاتبه بغضب الله عز وجل وألقى الألواح التي كتبت عليه التوراة)[116] ولعل من المناسب القول إن قادة البرنامج الإلهي الذين كلفوا بتهيئة الأجواء داخل الأمم لإقامة العدل الإلهي المنشود وسط كل التحديات أنهم تعرضوا إلى التصفيات الجسدية لهم ولعائلاتهم كجزء من المخطط العام لاستهداف المنظومة القيمية لدى الأمم جميعا ، وقد تكون آخر الأمم هي الأقسى على قادة مشروع الإستخلاف الذين اخذوا على عاتقهم تصحيح كل المسارات الخاطئة التي ولدتها المواجهات غير المتكافئة بين الحكام والمستضعفين . ولعل ما دار في واقعة كربلاء شاهد تاريخي على فساد البناء الأخلاقي للحاكمين والتربية السيئة البعيدة عن السلوك الديني والأصول العربية ونواميس الحرب ،

ولم يأتي هذا الحدث مفاجئ عن الروح العدوانية والرغبة الإنتقامية التي يمتلكها الصف المعادي للإستخلاف الحقيقي ، وإلا بماذا تفسر هذه الإبادة الجامعية لعائلة النبي الأخير؟ ، أو بماذا تفسر أن يشتم الخليفة الأخير في سلسلة الخلافة الراشدة قرابة (70) سنة[117] على منابر المسلمين بأمر من الخليفة ! ؟ .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم
*أحكام القرآن , القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي ، (ت543هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط بلا ،
* أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة ، اسعد وحيد القاسم ، الغدير للطباعة ، ط 1 ، (بيروت -1997) .
* الأصفى في تفسير القرآن ، المولى محمد محسن فيض الكاشاني (ت1091هـ) ، مكتبة الإعلام الإسلامي ، ط 1 ، (قم - 1376) .
* أضواء على المسيحية ، متولي يوسف شلبي ، الدار الكويتية للطباعة والنشر ، ط1 ، (الكويت-1968) .
* الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، الأميرة للطباعة والنشر ، ط 2 (بيروت – 2009) .
* تاج العروس ، السيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني المصري الحنفي (ت 1205) ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر، ط بلا ، (بيروت-1994) .
* تاريخ الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ،(310هـ) ، الأعلمي للمطبوعات ، ط 4 ، (بيروت–1983) .
* تاريخ القرآن ، تيودور نولدكة ، منشورات الجمل ، ط4 ، (كولونيا "المانيا" - 2008)
* التبيان ، شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460) ، مكتبة الإعلام الإسلامي ، ط 1 ، (قم – 1209) .
* تفسير، ابن أبي حاتم ، ابن أبي حاتم الرازي (ت 327) ، تحقيق اسعد احمد الطيب ، المكتبة العصرية ، ط بلا ، (صيدا _ بلا تاريخ) .
* تفسير ابن كثير ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ) ، دار المعرفة ، ط بلا ، (بيروت-1992)
* تفسير البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ، (ت682هـ) ، دار الفكر ، ط بلا , (بيروت _ بلا تاريخ)
* تفسير العزيز ابن عبد السلام ، عز الدين ابن عبد السلام السلمي الشافعي ، ط 1, (بيروت – 1996) .
* تفسير العياشي ، ابو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (320هـ) ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران , ط بلا .

* تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين بن اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ،(ت 774هـ) ، دار صبح ، ط4 ، (بيروت-2007) .
* تفسير القرطبي ، محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ) ، تحقيق احمد عبد السلام البردوني ، دار إحياء التراث العربي ، ط بلا ، (بيروت _ بلا تاريخ) .
* التفسير الكبير ، الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين ابن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الرازي) ، تحقيق دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، ط1, (بيروت – 2008) .
* تفسير مقاتل بن سلمان ، مقاتل بن سلمان (ت150هـ) ، دار الكتب العالمية ، ط1 ،تحقيق احمد فريد ، (بيروت – 2003) .
* التسليم لعلوم التنزيل ، محمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد ابن جزى الكلبي أبو القاسم الغرناطي (ت 741هـ) ، دار الكتاب العربي ، ط4 ، (لبنان-1983) .
* خلفيات كتاب مأساة الزهراء "عليها السلام" ، جعفر مرتضى العاملي ، دار السيرة ، ط5 ، (بيروت- 1422) .
* روح المعاني ، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ،(ت1270 هـ) ، دار احياء التراث العربي ، ط1 (بيروت – 1999) .
* سيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله" وأهل بيته"عليه السلام" ، مؤسسة البلاغ ، دار التوحيد ، ط 3 ، (بيروت – 2003) .
* صحيح ابن حيان , ابن حيان ، (ت354هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، (بيروت-1993)
* صحيح البخاري ،الإمام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري (ت256هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر، ط بلا , (استانبول – 1981) .
* صحيح مسلم , أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيري النيسابوري ، (ت261هـ) ،دار الفكر ، ط بلا , (بيروت – تاريخ بلا) .
* فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم ، د.احمد البرك الأميري ، دار لقلم ، ط1 ، (دمشق-2000)
* قصص القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة أم أبيها ، ط1، (لبنان-2009)
* المجتمع الفرعوني ، محمد باقر الصدر ، اعداد محمد علي أمين ، صدر الخلائق ، ط1 ، (النجف الاشرف-1424) .
* مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ امين الدين ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت 548) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط1، (بيروت – 1905) .
* مجمع الزوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت807هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط بلا ، (بيروت- 1988) .

* مسند الشاميين , أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الّلخمي الطبراني ، (ت360هـ) مؤسسة الرسالة ، ط 3 ، (بيروت-1996) .
* معالم المدرستين ، السيد مرتضى العسكري ، مؤسسة النعمان للطباعة ،(بيروت – 1990)
* مقارنة الأديان ، المسيحية ، احمد شلبي ، مطبعة السنة المحمدية ، ط4 ،(القاهرة – 1973) .
* من وحي القرن ، محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ، ط3 (بيروت – 2007)
* من لا يحضره الفقيه ، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالشيخ الصدوق (ت 381هـ) ، تحقيق علي اكبر غفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط2 ، (قم – تاريخ بلا) .
* الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم بن أحمد ابو الفتح الشافعي الشهرستاني (ت 548هـ) ، دار المعرفة ، ط بلا , (بيروت- بدون تاريخ) .
* الميزان في تفسير القرآن ، السيد الطباطبائي (ت 1412هـ) ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، (بغداد -1430) .
* والسنن الكبرى ، النسائي(303هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، (بيروت - 1991)
* كتاب المراجعات ، شرف الدين العاملي ، مطبعة ليلى ، ط2 ، (قم-1426هـ) .
* فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250هـ) ، عالم الكتب , ط بلا , (تاريخ بلا) .
* زبدة البيان ، المحقق الأردبيلي،(ت993هـ) ، تحقيق محمد الباقر البهبودي ، المكتبة المرتضوية ، ط بلا , (طهران- تاريخ بلا) .
* السلفية بين السنة والإمامية ، محمد الكثيري ، الغدير للطباعة والنشر، ط1 ، (بيروت – 1997)
* عبد الله بن سبأ ، مرتضى العسكري ، نشر توحيد ، ط 6 ، (ايران – 1992) . * علموا أبنائكم حب آل بيت النبي "صلى الله عليه وآله" ، د. محمد عبده يماني ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط1 ، (بيروت-1998) .
* التسليم لعلوم التنزيل ، محمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد ابن جزى الكلبي أبو القاسم الغرناطي (ت 741هـ) ، دار الكتاب العربي ، ط4 ، (لبنان-1983) .
* مقارنة الأديان ، المسيحية ، احمد شلبي ، مطبعة السنة المحمدية ، ط4 ،(القاهرة – 1973) .
* من وحي القرن ، محمد حسين فضل الله ،دار الملاك، ط3 (بيروت – 2007)
* من لا يحضره الفقيه ، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالشيخ الصدوق (ت 381هـ) ، تحقيق علي اكبر غفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط2 ، (قم – تاريخ بلا) .
* الميزان في تفسير القرآن ، السيد الطباطبائي (ت 1412هـ) ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، (بغداد -1430) .

الهوامـــش

[1]- البقرة :30 .
[2] - الأنفال : 55 .
[3]- معالم المدرستين ، مرتضى العسكري : 1 /157
[4]- المجتمع الفرعوني ، محمد باقر الصدر ، : 160 .
- المصدر نفسه : 157 . [5]
- البقرة : 30[6] .
[7]- التفسير الكبير ، الفخر الرازي : 2 / 390 .
[8]- تفسير العزيز ابن عبد السلام ، عز الدين ابن عبد السلام السلمي الشافعي : 1 / 115 .
-جامع البيان ، ابن جريرالطبري : مج 1 / 1 / 270 . [9]
- تفسير مقاتل بن سلمان ، مقاتل بن سلمان : 1 / 40 . [10]
- تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي : 1 / هـ 26 . [11]
- ينظر المجتمع الفرعوني ، محمد باقر الصدر : 160 . [12]
[13]- الأعراف : 16
[14]- من وحي القران ، محمد حسين فضل الله : 38/10
[15]-الأعراف : 17
- الإسراء : 70[16]
[17]- من وحي القران ، محمد حسين فضل الله : 179/14
- ينظر : تاريخ الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري : 1 / 68 .[18]
- تفسير العياشي ، العياشي : 1 / 276 . [19]
[20]- تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : 24/2 ؛ وينظر: التفسير الرازي ، الرازي:175/2
[21]- من لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق : 4 /180 ؛ والمستدرك ، الحاكم النيسابوري : 2 / 597 ؛ و السنن الكبرى ، البهيقي : 9 / 4 .
- الشمس : 7-8 . [22]
[23] - البقرة : 87 .
[24]- تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين بن اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي : 1 / 129
[25] - الامالي ، الشيخ الصدوق : 4 / 64 .
- تاج العروس ، الزبيدي : 187[26]
[27]- كتاب العين ، الخليل الفراهيدي : 4 / 266 .
- تاج العروس ، الزبيدي ، باب خلف : 12/ 199 . [28]
- الأنعام : 165 . [29]
- كتاب العين ، الخليل الفراهيدي :4 /265 . [30]
- التبيان ، الشيخ الطوسي : 1 / 131 ؛ ومسند الشاميين ، الطبراني : 1 / 344 ؛ [31]
- الميزان ، الطباطبائي : 2 / 56[32]
[33] - التفسير الكبير ، الرازي : 24 / 24
[34]- أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة ، اسعد وحيد القاسم : 21 .
[35] - النور : 55 .
- زبدة البيان ، المحقق الأردبيلي : 22 . [36]
- ينظر : تفسير من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله : 8 / 85 . [37]
[38]- نفسير روح المعاني ،ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي : 6 / 386 .
- تفسير الميزان ، الطباطبائي : 5 /265 . [39]
[40] - هود :42-43
[41] - تفسير السمعاني ، السمعاني :489/2
[42] - التحريم :10
[43] - مفردات غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين محمد بن الفضل الراغب ، دفتر نشر كتاب ، ط2 ، (إيران – 1404) : 163
- الميزان ، الطباطبائي : 10 / 191[44]
[45]- فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم ، د.احمد البرك الأميري : 175 .
[46]- الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني : 2 / 51 .

[47] ـ قصص القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي : 74
ـ المصدر نفسه : 74 [48]
[49] ـ تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي : 1 / 60 و 61
ـ الصافي ، الفيض الكاشاني : 3 / 93[50]
ـ مجمع البيان ، الطبرسي : 8 / 548[51]
[52] ـ الأعراف : 83
[53]ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي : 5 / 69 *(فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)
[54]ـ يوسف : 5
ـ التفسير الصافي ـ الفيض الكاشاني : 3 / 7[55]
[56] ـ هود : 36
ـ تفسير القرطبي، القرطبي : 18 / 312 . [57]
ـ جامع البيان ، ابن جرير الطبري ، مج 1 : 1 / 521 .[58]
[59]ـ ينظر : نفسير روح المعاني ، الالوسي: 4/ 326 ؛ والتفسير الكبير ، الرازي : 4 / 91 .
[60] ـ السجدة : 21 .
ـ تفسير الميزان ، الطباطبائي : 16 / 227 . [61]
ـ من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله : 18 /250 . [62]
ـ التبيان ، الشيخ الطوسي : 10 / 135 . [63]
ـ ينظر: تفسير الميزان ، الطباطبائي : 10 / 203 . [64]
[65]ـ الإنعام : 76 .
[66]ـ خلفيات كتاب مأساة الزهراء "عليه السلام" ، جعفر مرتضى العاملي : 1 / 84 .
[67]ـ لتفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : 1 / 292 – 293 .
ـ تفسير مجمع البيان ، الطبرسي : 2 / 173 . [68]
ـ تفسير ابن أبي حاتم ، ابن أبي حاتم الرازي : 2 / 510 . [69]
ـ البقرة : 124 . [70]
ـ منهاج الصالحين ، الشيخ وحيد الخراساني : 1 / 141 . [71]
[72] ـ الأعراف : 138
[73]ـ جامع البيان ـ إبن جرير الطبري : 9 / 60
[74] ـ تفسير السمرقندي ، أبو الليث السمرقندي : 2 / 399
ـ نص إنجيل برنابا ، سيف الله احمد فاضل ، : 39 . [75]
[76] ـ مريم : 29 .
ـ التبيان ، الشيخ الطوسي : 7 / 123 . [77]
ـ المائدة : 110 . [78]
ـ التفسير الكبير ،الفخر الرازي : 8 / 283 . [79]
ـ تفسير البيضاوي ، البيضاوي : 2 /44 . [80]
ـ نص إنجيل برنابا ، سيف الله احمد فاضل : فص : 91 / 152 . [81]
ـ مقارنة الأديان ، المسيحية ، احمد شلبي :36. [82]
ـ المصدر السابق : 37 . [83]
ـ ينظر التبيان ، الشيخ الطوسي : 3 / 382 . [84]
[85]ـ أضواء على المسيحية ، متولي يوسف شلبي : 67 .
ـ صحيح ابن حيان ، ابن حيان : 13 / 172 .[86]
[87]ـ ينظر: سيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله" وأهل بيته "عليه السلام" ، مؤسسة البلاغ :1 / 19.
[88]ـ علموا أبنائكم حب آل بيت النبي "صلى الله عليه وآله" ، د. محمد عبده يماني :89 .
[89] ـ سيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله" وأهل بيته"عليه السلام" : 36 .
ـ تاريخ القرآن ، تيودور نولدكة : 5 .[90]
ـ نص إنجيل برنابا ، سيف الله محمد فاضل :90 . [91]
ـ التفسير الكبير ، الرازي : 4 / 382 - 383 .[92]
[93] ـ المائدة : 55 .
ـ ينظر: التفسير الكبير ، الرازي : 12 /20 ؛ وينظر: تفسير ابن كثير ، ابن كثير : 2 / 73-74 .[94]

[95]- ينظر : تفسير ابن أبي حاتم ، ابن أبي حاتم الرازي : 4 / 1162 ؛ ومجمع الزوائد ، الهيثمي : 7 / 16-17 ؛ والتبيان ، الطوسي : 3 / 558-559 ؛ وأحكام القرآن ، الجصاص : 2 / 557 ؛ وتفسير القرطبي ، القرطبي : 2 /557 .

[96]- صحيح مسلم ، مسلم النيسابوري : 5 / 75 ؛ وصحيح البخاري ، البخاري : 4 / 31 .

[97] - ينظر: كتاب المراجعات ، شرف الدين العاملي :354-360

[98] - المائدة : 67 .

[99] - عبد الله بن سبأ ، مرتضى العسكري : 1 / 96 .

[100] - الأنبياء : 64 .

[101] - تفسير نور الثقلين ، الشيخ الحويزي : 3 / 433-434 .

[102] - من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله : 9 /178 .

[103] - الأنبياء : 68-69 .

[104] - التسليم لعلوم التنزيل ، الغرناطي : 3 /29 .

[105] - تفسير القرطبي، القرطبي : 11 /303 .

[106] - تفسير السمرقندي ، السمرقندي : 2 /432 .

[107] - طه : 39 .

[108] - التبيان ، الطبرسي : 7 /173 .

[109] - الجديد ، محمد السبزواري : 4 /433 .

[110] - من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله : 15 /108 .

[111] - طه : 24 .

[112] - التبيان ، الشيخ الطوسي :10 /275 .

[113] - التفسير الاصفي ، الفيض الكاشاني : 2 / 762 .

[114] - سياسة الأنبياء ، السيد نذير يحيى الحسيني : 128 .

[115] - فتح القدير ، الشوكاني : 3 / 478 .

[116] - الجديد ، محمد السبزواري : 4 / 459 .

[117] - ينظر : السلفية بين اهل السنة والإمامية ، محمد الكثيري : 626

خلاصة البحث

في ختام هذا البحث أدون ما توصلت إليه من نتائج آملاً أن أكون قد أسهمت في توضيح ما ما يدور في فلك مشروع الاستخلاف الذي أراده الله تعالى للخلق من اجل رفعة وكرامة النوع الإنساني .

1- الاستخلاف سنة تاريخية عمل بها أنبياء الأمم السابقة ، ولكن هناك من رأى الإستخلاف مسالة سياسية ، وليس لها علاقة بالتبليغات الإلهية ، تدفعه الى ذلك مصالحه الشخصية .

2- لم تتقبل الأمم على إختلافها مفهوم الإستخلاف العملي ووضعت العراقيل أمام تنفيذ هذا المشروع حتى وصلت إلى استهداف حياة المُستخْلف .

At the conclusion of this research I record what findings the hope that I have contributed to clarify what is going on in the orbit of succession project that God intended for the creation of the Almighty for the elevation and dignity of the human race.

1- Succession is a historical tradition that all the messengers and prophets followed but some believe that it is a political matter.

2- The nations did not accept the concept of practical succession and tried to put obstacles in the path of achieving such project.